

## الكتابة المسمارية :

تعدّ الكتابة المسمارية أهم المقومات الحضارية التي حققها الإنسان العراقي القديم، إذ كان له الفضل في وضع الأصول الأولى لتدوين تاريخ البشرية، كما تركت تلك الكتابة أثرا كبيرا وواضحا على مجمل المنجزات الحضارية اللاحقة التي توصل إليها ذلك الإنسان الرافديني الخلاق، والتي لولاها لما أستطاع أن يسجل لنا علومه ومعارفه وتراثه، ومن ثم ينقله إلى الأجيال المتعاقبة.

عثر على أول نماذج الكتابة بالخط المسماري في الطبقة الرابعة (ب) من مدينة الوركاء (التي تقع حاليا في مدينة السماوة) وأسمها القديم أوروک (uruk)، تضمنت تلك النصوص على وثائق اقتصادية بلغت المئات مدونه بالطريقة البسيطة الأولى ألا وهي الكتابة الصورية والتي تعود إلى حدود ٣٥٠٠ ق.م في العصر المسمى بالشبيه بالكتابي.

كان عدد العلامات المسمارية في بداية ظهور الكتابة قد بلغ الآلاف ثم تم اختزالها كلما تقدم (مرّ) الزمن ، وتطورت الكتابة واللغة معاً حتى وصل عدد العلامات في نهاية المطاف إلى حوالي ٦٠٠ علامة وذلك في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد ولتدون فيها أهم وأشهر وأقدم لغتين في العالم ألا وهما اللغة السومرية واللغة الأكديّة بفرعيها البابلي والآشوري.

لقد مرت الكتابة المسمارية بعدة ادوار أو مراحل، كان أولها ما يسمى بالمرحلة الصورية (pictographic) والتي يقصد بها كتابة الشيء من خلال رسمه، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، إذا أراد الكاتب السومري أن يكتب كلمة شجرة فإنه يرسمها، وإذا أراد كتابة كلمة يد فإنه يرسم يدا تكاد تكون حقيقية .

أما المرحلة الثانية في سلم تطور الكتابة فسميت بالرمزية (ideogram) وتعني استخدام علامات موجودة سابقا ومستخدمه في المرحلة الأولى (الصورية) ، ولكن أعطى لها قيمة جديدة كي يتمكن بواسطتها- الكاتب - من تدوين الأفكار والأشياء غير المادية وتم في هذه المرحلة اختزال العلامة (اختصار مساميرها) فظهرت بشكل مختصر بحيث إنها لا تشبه العلامة السابقة تماما بالشكل وكذلك لا تعبر عن الشيء ذاته فقط بل وتعبّر عما يدور من حوله من أفكار ذات صلة بما

تمثله تلك العلامة ، فإذا أراد كتابة كلمة قدم فانه يرسمها ولكنها هنا لا تعني القدم فقط بل وتعني أيضاً أي شئ آخر له صلة بالقدم مثل (وقف،جلس،خرج،دخل) وصارت صورة الشمس لا تعبر فقط عن الشمس بذاتها بل وتعبر عن معاني مشتقة منها( كالضوء،والحرارة،والليل،والنهار).

كما قام الكاتب بدمج علامتين أو أكثر لإعطاء معنى جديد وكلمة جديدة، فإذا أراد كتابة الفعل أكل رسم صورة الفم وبداخله صورة الخبز، وإذا كتب ،شرب، فإنه يرسم الفم وبداخله صورة الماء ، وبجمع المرحلتين الصورية والرمزية صار بالإمكان التعبير عن معانٍ وجمل كثيرة ، ولكن الكتابة بقيت ناقصة بسبب استحالة تدوين كل الأفكار والمعاني التي كانت تملأ الحياة كالحياة نفسها والموت والخلود والحب والبغضاء، فلم يعرف الإنسان كيف يعبر عنها في هذه المرحلة المبكرة، لذلك بقيت الكتابة غير كاملة لتدوين كل مفردات اللغة السومرية، حتى توصل إلى المرحلة الثالثة والأخيرة في سلم تطور الكتابة المسمارية إلا وهي المرحلة الصوتية (المقطعية) والتي أستطاع فيها الإنسان العراقي القديم أن يحاكي عما يعترى نفسه من شعور داعب خلجات نفسه بين الحين والآخر، ولكنه وللأسف لم يستطع أن يتوصل إلى أعظم مراحل تطور الكتاب وخاتمتها و ونقصد بها الأبجدية.

#### المرحلة الصوتية ( phonetic )

المقصود بها إعطاء أصوات للعلامات تتناسب ولغتهم مجردة عن مدلولها والرمزي، وبمعنى آخر فإنه أستخدم صوت علامة سابقة ولكنه أعطاها معنى جديد مثل لفظة (DUG3) (دُج) ، التي تعني ركة ، ولكنه في المرحلة الثالثة والتي ظهرت في الطبقة الثالثة من مدينة الوركاء- أصبحت تعني صفة ،(حلو / طيب) ، فأصبح لرسم علامة (الـدج DUG3) لفظ واحد ولكن بمعانٍ عديدة . وكذلك كلمة MUD والتي تعني إنبوب فأصبح لها معنى آخر هو الخوف ، ولفظة أخ SES ، أخذت معنى المرارة ( المرُ ) كما أستخدم صوت العلامة أول لفظة الكلمة مجردة من معناها فكأنما استخدم الطريقة الهجائية التي لم يتوصل إليها بشكل كامل إلا عن طريق بضع كلمات وأمثلة قليلة ذكرت في اللغة السومرية

أولاً، فإذا أراد كتابة أسم علم مثل (أكوركال-akurgal) الذي يتألف من ثلاث كلمات كل لها معنى هي (a ماء، kur أرض أوجيل، gal وتعني عظيم أو كبير) فيدمجها معا لتكوين أسم شخص بغض النظر عن معنى ذلك الاسم، لذلك سميت هذه المرحلة أيضا بالمقطعية.

### مواد الكتابة المسمارية

أستخدم الكتبة قلم من القصب مثلث الرأس فبعد أن كانت تتشابه الكلمات- في بداية ظهور الكتابة- بين رسمها ومعناها أصبحت تشبه المسامير في شكلها وبدأت تفقد شكلها الصوري، ومن هنا جاءت تسميتها بالكتابة المسمارية (cuneiform)، وأضحت العلامات متكونة من خطوط مستقيمة وأفقية وعمودية ومائلة.

كان الطين من أهم المواد التي دونت الكتابة المسمارية عليه في بلاد سومر وأكد، لأنه الأكثر شيوعا والأرخص ثمنا، وكان يحضر من طين حر(خالي من الشوائب) لصناعة رقم الطين وتم العثور على آلاف الرقم الطينية في جنوب ووسط وشمال بلاد الرافدين ومحفوظه الآن في معظم متاحف العالم، ولكن مع الأسف لم يقرأ منها الا الشئ القليل، وبقي القسم الآخر منها وهو أكثرها تحت الأرض ينتظر معاول المنقبين.

أتجه الخط المسماري في تدوينه من اليسار إلى اليمين ومن الأعلى إلى الأسفل، ويبدأ بالكتابة على وجه اللوح ثم القفا (الظهر) وكان يستخدم الكاتب في أحيان الحواشي(الحافات) السفلى والعليا واليسرى لتدوين ما تبقى من معلومات، ولا يجوز إطلاقا(بتاتا) الكتابة على الحافة اليمنى لأنها استمرار الكتابة على الوجهين فعندما ينتهي السطر الأول على الوجه أو القفا وبقي للكاتب علامة واحدة فإنه لا يضعها في سطر منفرد لحالها بل يكتبها مع السطر الأول على الحافة اليمنى لإتمام المعنى.

يترك الكاتب الرقيم بعد الكتابة عليه ليحفظ في الشمس أو يضعه في أفران أو كور خاصة للشئ (للشواء) ونجد في بعض الأحيان طبعات الأختام على تلك النصوص .

يأتي الأجر والحجر بالمرتبة الثانية في تسلسل المواد المستخدمة في التدوين من حيث العدد والأهمية أما المعدن والخشب فظهر أو استخدام بشكل قليل، بل ونادر وذلك بسبب افتقار بلاد ما بين النهرين للمواد المعدنية وكذلك الأخشاب ، علاوة على إن الخشب مادة عضوية قابلة للتلف ، كما ورد ذكر العاج في المصادر المسمارية .

أما بالنسبة لأشكال وأحجام الرقم الطينية فكان منها الكبير الذي بلغ ٥٠ × ٥ سم والصغير ١/٢ × ١/٢ سم وتتنوع أشكالها فكانت منها الدائري المدرسي والمربع والمستطيل والاسطواني والمنشوري والبيضوي والمخروطي، وكانت الألواح الصغيرة توضع في راحة اليد للكتابة عليها ويكتب باليد الأخرى ، أما الكبيرة فيعتقد باستعمال مساند خشبية كانت توضع عليها الرقم الكبير أثناء الكتابة.

انتشر الخط المسماري إلى بلدان العالم القديم وأصبح في القرن الرابع عشر ق.م وسيلة لتدوين الوثائق المتبادلة بين ملوك وأمراء الشرق الأدنى القديم ومن الشعوب التي دونت لغتها بالخط المسماري كانت العيلامية (بلاد فارس) والحيثية (بلاد الأناضول) كما استخدم في بلاد الشام وكذلك في مصر من خلال تدوين رسائل تل العمارنة به .

ظلت الكتابة المسمارية متمثلة بخطها المسماري الشهير مستعملة (مستخدمة) بالتدوين حتى بعد انتهاء آخر حكم سياسي عراقي وطني في عام ٥٣٩ ق.م، ولكن بشكل وعدد قليل وذلك بسبب انتهاء الدعم السياسي لها أولاً ومن ثم ظهور وانتشار وبساطة اللغة الآرامية الأبجدية التي طغت على خطوط ولغات العالم القديم. وآخر نص مسماري وصل إلينا هو نص فلكي يعود إلى سنة ٥٠ ميلادية ومحفوظ الآن في المتحف العراقي، وهكذا أسدل الستار على أول وأعظم كتابة في العالم القديم.

